مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها

الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jll

بلاغة الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير لسور المفصَّل

The Eloquence of Manifestation in the Place of Implication in the Interpretation of Liberation and Enlightenment in the Detailed Surahs

أ. جميلة بنت عبد الله بن ناصر الجُنيديّ*

قسم اللغة العربية، بكلية الآداب، جامعة الإمام عبد الرَّحمن الفيصل، الدمام، المملكة العربية السعودية

Jamila Bint AbdoaLalah Bin Nasser Aljnidi*

Arabic Language Department, College of Arts, Imam Abdul Rahman Al-Faisal University, Dammam, Saudi Arabia

تاريخ التقديم: 7/5/2023 تاريخ ارسال التعديلات: 9/7/2023 تاريخ القبول:13/09/2023

Received:7/5/2023 Revised:9/7/2023 Accepted: 13/09/2023

الملخص:

تقف الدِّراسة على ظاهرةٍ من الظَّواهر البلاغيَّة التي تندرج تحت خروج الكلام على خلاف مقتضى الظَّاهر، ووضع الاسم الظاهر موضع الضَّمير، وهو من الأساليب الدَّقيقة المسلك، اللَّطيفة المأخذ، التي تحتاج إلى فكر وتروّي، وإمعان نظر، لإدراك أسرارها ولطائفها. تعنى الدِّراسة برصد مواضع وضع الاسم الظَّاهر موضع الضَّمير في سياقات الحديث عن أحوال العباد في سور المفصَّل، وتهدف إلى استجلاء السِّمات الأسلوبيَّة لهذه الظَّاهرة في السِّياق، وكشف النِّقاب عن أسرارها البلاغيَّة.

الكلمات المفتاحية: الإظهار، الإضمار، المفصَّل، السِّياق، تحليل، بلاغة.

Abstract:

The study stands on the phenomenon of rhetorical phenomena that require the exit of speech contrary to the apparent requirement and put the apparent name in the place of the pronoun. This is one of the accurate methods of the gentle course of the socket, which needs to think, deliberate, careful consideration, and knowledge of the rules of the Arabic language. The study is based on monitoring the places where the apparent noun is used instead of the pronoun in the Surah Al-Mufassal to discuss the conditions of the servants. It aims to clarify the stylistic features of this phenomenon in different contexts and reveal the Negev for its rhetorical secrets.

Keywords: Show, Include, Detail, Context, Analysis, Eloquence.

***المؤلف المراسل**: جميلة بنت عبد الله بن ناصر الجُنيديّ

البريد الالكتروني الرسمي : 2220500027@iau.edu.sa

Doi: https://doi.org/10.54940/ll37250091

1658-8126 / © 2024 by the Authors.

Published by ***J. Umm Al-Qura Univ. Lang. Sci. and Lit.***

المقدمة:

الحمد لله الواقي من اتّقاه، الهادي من استهداه، الكافي من أراد رضاه، أحمده وأستعين به على المصاعب والمشاقِّ، وأعوذ به من الزَّيغ والضَّلال، وأُصلِّي وأُسلِّم على سيِّد الأوَّلين والآخرين، المبعوث رحمةً للعالمين.

من الأساليب البلاغيَّة المعجزة في القرآن الكريم: (أسلوبا الإظهار والإضمار) وهما من الأساليب الدَّقيقة المسلك اللَّطيفة المأخذ؛ الَّتي تحتاج إلى تأمُّل عميق وبُعد نظر، والَّتي لا تزال تفتقر إلى الدِّراسات التي تُنبئ عن مكنوناتهما، ولم تولَّ اهتمامًا كافيًا من الباحثين، وربَّما يعود السَّبب في ذلك إلى أنَّ هذا الموضوع مشترك بين النَّحو والبلاغة، ولم يُفرد بالتَّأليف، ولم تجمع نكته ولطائفه في دراسة مفردة مستقلَّة.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في عدم انكشاف أسرار هذا الأسلوب من بلاغة القرآن، وحاجته إلى دراسة تكشف لطائفه وأسراره ونهدف إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

1- ما المعنى المنتقب خلف وضع الاسم الظاهر موضع الضمير في سياق الحديث عن أحوال العباد في سور المفصل؟ وهل لهذا الأسلوب مزيّة في التعبير؟

2- هل لسياق الكلام والمقام دور في إيثار هذا الأسلوب وتفضيله على غيره؟

3- كيف أثار هذا الأسلوب انتباه القارئ ودفعه للوقوف وقفة تأمل وتدبر؟

سبب اختيار الموضوع:

قلة الدراسات البلاغية حول أسلوب (الإظهار والإضمار) في القران الكريم.

أهداف البحث:

تهدف الدِّراسة إلى:

1- رصد مواضع وضع الاسم الظَّاهر في موضع الإضمار في سور المفصَّل.

2- استجلاء السِّمات الأسلوبيَّة لهذا الأسلوب في السِّياقات المختلفة باختلاف أحوال العباد.

3- الاستضاءة بأسراره في مجالات التَّعبير المختلفة، واستثماره في التَّأثير البلاغيِّ.

منهج البحث:

تعتمد الدِّراسة على المنهج الوصفي التَّحليليِّ، وذلك برصد مواضع (وضع الاسم الظَّاهر موضع الضَّمير) في سياق الحديث عن (أحوال العباد) في سوَر المفصَّل؛ للكشف عن دواعيه البلاغيَّة، وعرض لطائفه البيانيَّة.

خطة البحث:

يُبنى هذا البحث وفق خطة منهجية انتظمت في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين:

- المبحث الأول: سياق الحديث عن المؤمنين الموحِّدين.
- المبحث الثاني: سياق الحديث عن المشركين والعصّاة والمنافقين.

وينتهي بخاتمة يتبعها قائمة بالمصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

بعد الاطِّلاع على عددٍ من مواقع النَّشر والمكتبات، وأدلَّة الرَّسائل الجامعيَّة، في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة وخارجها، لم أجد دراسة متخصِّصة في تناول هذا الأسلوب البلاغيِّ من خلال السِّياق، وجميع الدراسات السابقة دارت حول المصطلح ذاته – وضع الاسم الظَّاهر موضع الضَّمير – جمعًا وعرضًا، جملةً أو تخصيصًا:

1- (الأسرار البلاغية في وضع الظاهر موضع المضمر في الآيات القرآنية)، بحث منشور لمحمد حمدي عبد العاطي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، ع4، 1993م.

2- (وضع الظاهر موضع المضمر وتطبيقاته في القرآن الكريم)، بحث منشور لطلال الطوبجي، جامعة الموصل، ع 29، 1997م.

3- (العدول عن الإضمار إلى الإظهار في القرآن الكريم – سورة يوسف. أنموذجًا تطبيقيًّا) – بحث منشور في مجلَّة ديالي؛ للباحث نوفل إسماعيل صالح، عام (1430هـ).

4- (الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التَّحرير والتَّنوير؛ للطَّاهر بن عاشور، من أوَّل سورة الفاتحة إلى نهاية سورة آل عمران)، رسالة ماجستير؛ للباحث إدريس محمَّد أبكر، قسم التَّفسير وعلوم القرآن، بجامعة المدينة العالميَّة بماليزيا، عام (2011م).

5- (الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم – مفهومه، أغراضه، عناية المفسِّرين به)؛ لعبد الرَّزَّاق حسين اليوسف، مجلَّة الوعي الإسلاميِّ، وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، الكويت، الإصدار الثَّاني والثَّلاثون، عام (1443هـ).

6- (وضع الظاهر موضع المضمر في القرآن الكريم ما أشكل منه وما كان لإزالة اللبس)، بحث منشور لعبد العزيز علي الحربي، مجلة فقه اللغة، ع1، س1، 2016م

7- (أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، أغراضه وبلاغته دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير أبو السعود)، بحث منشور لمحمد أحمد شلبي، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط، ع1، ج1، 2019م.

8- (الأغراض البلاغية لظاهرة وضع الظاهر موضع المضمر في القرآن الكريم)، بحث منشور لبعداش علي، مجلة المعيار، ع3، مج 26، 2033م.

9- (وضع المظهر موضع المضمر ووضع المضمر موضع المظهر في القرآن الكريم، دراسة بلاغية تطبيقية تحليلية)، لرمضان محمد محمود، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.

10- (الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، محددات استحسانه وسر شيوعه وأغراضه – الأسماء الحسنى نموذجا –)، لمحمود روزن، مركز تفسير القراءات القرآنية.

11- (وضع الظاهر موضع المضمر في تفسير الجلالين – جمعًا ودراسة –)، على جريد العنزي، جامعة الحدود الشمالية.

التمهيد: خروج الكلام على خلاف مقتضى الظَّاهر صوره وأنواعه:

الأصل في الكلام أن يرد على مقتضى الظاهر، ومعنى ورود الكلام على هذه الصورة أن يكون مطابقا لحالة المتحدث ومناسبا للموقف الذي يحدث فيه وقد تحدث النحاة والبلاغيون عن ذلك قالوا (إن لكل مقام مقال)، ودعا الجاحظ إلى ذلك ونقل أقول العرب في ذلك، ومنها ما جاء في صحيفة بشر بن المعتمر «ينبغي على المتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[1].

وهكذا سار البلاغيون في ربط حسن الكلام, وقبحه بمدى مطابقته لمقتضى الحال، فالسكاكي يقول: «لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فالتشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال»[2]، وبهذا عرف البلاغيون بلاغة الكلام بأنها «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته»[3], وهو الأصل التي جرت عليه البلاغة.

ولكن قد يخالف الكلام ظاهر الحال، وهذا ما تنبه له البلاغيون حين رأوا أن الألفاظ والعبارات قد تحتمل تأويلا جديدا يخالف ظاهرها، وربطوا ذلك بسياقات الكلام وتتبعوه تحت مسمى (خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر) وقوفا على دواعيه البلاغية المؤثرة، وما فيها من عناصر فنية إبداعية.

فالكلام إذا خرج عن سمته المعتاد، ورتابته المعهودة، أثار انتباه القارئ ودفعه للوقوف وقفة تأمل وتدبر أمام هذا الأسلوب فتغلغل بفكره في أعماق التراكيب، وسبر أغوار المعاني لديه، حتى يتجلى له ما وراءها من أسرار وكنوز وقد أكدّ ذلك الزمخشري «أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية وتجديدا لنشاط السامع، وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد»[4].

وخروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر له صور لخصها البلاغيون فيما يأتي:

الصورة الأولى: تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد ومنه قوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 103] الآية تثير تساؤلا في نفس المخاطب، وجاء الجواب مخالفًا لماجرت عليه العادة واشتمل على مؤكدين (إن – والجملة الاسمية) تنزيلا له منزلة السائل.

الصورة الثانية: تنزيل غير المنكر منزلة المنكر، إذا ظهر عليه شيء من علامات الإنكار ومنه قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 15-16] فالمؤمنون المخاطبون لا ينكرون حقيقة الموت، كان مقتضى الظاهر أن يأتي الخبر خاليا من التوكيد، ولكنه جاء مؤكدا بأكثر من مؤكد؟ لظهور علامات الإنكار عليهم، فنسيانهم للموت وغفلتهم المستمرة أنزلهم منزلة المنكر لحقيقة الموت فجاء الخبر مؤكدا بـ(إن – ولام الابتداء).

الصورة الثالثة: تنزيل المنكر منزلة غير المنكر ومنه قوله: ﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [النحل: 22] الخطاب لأهل مكة الذين ينكرون وحدانية الله، وكان مقتضى الظاهر أن يلقى الخبر مقترنا بأدوات التوكيد، ولكنه خرج عن مقتضى الظاهر، وألقي الخبر مجردا من التوكيد لما ظهر لهم من الأدلة ما لو تأملها لارتدع عن إنكاره[5].

أما خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فقد قام البلاغيون بتتبع هذه الظاهرة ضمن تتبعهم لموضوعات علم المعاني، فصنفوها في تسعة أنواع: الالتفات، الأسلوب الحكيم، وضع الخبر موضع الإنشاء وبالعكس، الانتقال من الماضي إلى المضارع وبالعكس، التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، التغليب، تجاهل العارف، القلب، وأخيرا الإظهار في مقام الإضمار والعكس[6][7].

الإظهار في مقام الإضمار:

الإظهار لغة: «القوة، والبروز، ومن ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهورا؛ فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، ولذلك سمي وقت الظهر، والظهيرة»[8].

اصطلاحاً: «هو اسم لكلام ظهر المراد منه للسامع، ويكون محتملا للتأويل والتخصيص»[9].

للإضمار لغة: معنيان: الأول: الضُّمر، والضُّمْر، مثل العُسُر، والعُسْر، وتعني: الضعف والتقليل. الثاني: الخفاء، يقال: أضمر الشيء إذا أخفاه، وصعب الوقوف عليه، ويقال: ضمير الإنسان: قلبه وباطنه. والجمع: (ضمائر)، و(أضمر)[10][11].

اصطلاحاً: «ما وضع لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب تقدم ذكره لفظا، أو معنى، أو حكما»[12].

ويُقصد بالإظهار في موضع الإضمار أن يكون ظاهر الحال يقتضي الإضمار؛ لكون المقام مقام تكلُّم، أو خطاب، أو غيبة؛ إلَّا أنَّ المتكلِّم يعدل عن الاسم المضمر، ويعبّر بالاسم الظَّاهر؛ لأغراض بلاغيَّة يقصدها، وهذا الأسلوب جرى عليه العرب، يقول الزَّجَّاج (والعرب إذ أجرى ذكر شيء مفخَّم أعادوا لفظه مظهرًا غير مضمر) أنشد النَّحويُّون قول الشَّاعر[13]:

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيءٌ * نغَّصَ الموتُ ذا الغِنى والفقيرا

ووضع الاسم الظَّاهر في موضع الإضمار من المواضيع التي تحدث عنها البلاغيُّون في آخر باب (من أحوال المسند إليه) يقول الشَّيخ محمَّد أبو موسى: «لحظ البلاغيُّون أنَّ دراسة وضع المظهر موضع المضمر، وعكسه، ودراسة الالتفات تتَّصل بباب المسند إليه؛ لأنَّها من أحواله، فألحقوها به، كما لحظوا أنَّ أساليبها ممَّا لا تجري على مقتضى المقرَّرات المتعارفة، وإنَّما هي ضروب من المخالفة، فترجموا لها بخروج المسند إليه على خلاف مقتضى

الظَّاهر، وألحقوا به أسلوب الحكيم؛ لأنَّه ضرب من المخالفة»[14].

وأمَّا أنواع الاسم المظهر فقد جعلوه قسمين: اسم إشارة، وغير اسم إشارة، وجعلوا لكلِّ قسم منهما أغراضه البلاغيَّة الخاصَّة به، وهذا ما ذكره الخطيب في إيضاحه تبعًا للسَّكَّاكيّ في أنَّ المظهر قد يكون اسم إشارة، وقد يكون غير اسم إشارة؛ ثمَّ ذكر لكلِّ نوع أسراره البلاغيَّة في إشارة منه إلى تقسيم الإظهار إلى نوعين وإن لم يصرّح بذلك[15].

أمَّا الكاتبون في علوم القرآن؛ فقد بحثوا هذه المسألة في باب (الإطناب) دون تفريق في الأغراض البلاغيَّة بين اسم الإشارة وغيره، وقد عدَّه الزرَّكشيُّ من أقسام التَّأكيد، وجعله القسم التَّاسع، وقال فيه: «والعجب أنَّ البيانيّين لم يذكروه في أقسام الإطناب»[16]، في حين عدّه السُّيوطيُّ من الإطناب؛ وقسَّم الإطناب قسمين: الأوَّل: البسط، والثَّاني: الزِّيادة، جاعلًا الإظهار في موضع الإضمار من أنواع الزِّيادة[17].

وقد استفاد المفسِّرون ممَّا كتبه هؤلاء في بيان فوائد الإظهار في موضع الإضمار في القرآن الكريم، وكانت لهم إضافات قيِّمة في هذا الجانب، وقد أشار السَّمين الحلبيُّ في تفسيره (الدُّرِّ المصون) إلى أنَّ الاسم المظهر قد يكرَّر مرَّتين في جملة واحدة، وقد يكون الاسم المظهر في جملة والآخر الذي يعود إليه جاء بدل ضميره في جملة أخرى[18].

وقد يخلط كثير من الباحثين بين الإظهار في موضع الإضمار وبين التَّكرار، فيوردون أمثلة الإظهار تحت مبحث التَّكرار، بسبب التَّشابه الكبير بينهما؛ إلَّا أنَّ الإظهار يتميز عن التَّكرار اللَّفظيِّ بأمور منها: جواز حلول الضَّمير مكان اسمه الظَّاهر؛ جريًا على مقتضى الظَّاهر، وعندئذٍ تغيب النُّكتة البلاغيَّة، وبناءً عليه يمكننا القول: إنَّ الإظهار في موضع الإضمار نوع من التَّكرار اللَّفظي إلَّا أنّ له ضابطًا يختصُّ به.

صور وضع الاسم الظاهر في موضع الضمير:

1- أن يُذكر الاسم مظهرًا في موضع الإضمار، وقد سبق ذكره بلفظه، وأمثلته هي الغالبة كقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: 46].

2- أن يُذكر الاسم مظهرًا في موضع الإضمار، ولم يسبق له ذكر بلفظه، وإنما ذُكِر بمعناه، وهذا قليل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ:40].

3- أن يذكر الاسم مظهرًا في موضع الإضمار، ولم يسبق له ذكر لا بلفظه ولا بمعناه، ولم يُسبق ذكر ضميرٍ له، لأنَّه معلوم من سياق الكلام، وهذا نادر، كقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: 20][19].

4- أن يُذكر الاسم مظهرًا في موضع الإضمار، ولم يسبق له ذكر بلفظه، وإنما ذُكِر بضميره وهذا قليل كقوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: 2].

وفي هذه الدِّراسة بإذن الله سأعرض النُّكت البلاغيَّة التي ذكرها العلماء في مخالفة الكلام لمقتضى الظَّاهر، ووضع الاسم الظَّاهر موضع الاسم المضمر في سياق أحوال العباد في سور المفصَّل، سائلةً المولى التَّوفيق، والسَّداد، والقَبُول.

وضع الاسم الظاهر موضع الضمير في سياق أحوال العباد في سور المفصل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.

السياق لغة: من تساوقت الإبل تساوقا: إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة، ومتساوقة[20].

اصطلاحاً: بعد البحث في كتب التفسير المتقدمة، وأصول التفسير، وعلوم القرآن، وفي تلك الكتب التي يظن فيها وجود مفهوم للسياق ككتب البلاغة القرآنية، لم أجد من نص على تعريف السياق اصطلاحا، ولعل سبب عدم تعريف المتقدمين للسياق اصطلاحا يعود إلى أنه على درجة من الوضوح، ولا يحتاج إلى بيان، وحمله على معناه المعجمي ظاهر؛ فكلمة (السياق) في معاجم اللغة تدور على معنى التتابع، والانتظام، والاتصال، فعندما تضاف هذه الكلمة إلى (الكلام)، يكون المعنى: تتابع الكلام، وانتظامه، واتصاله؛ لأداء المعنى المراد، وهٰذا واضح عندهم لا يحتاج إلى توضيح.

السياق القرآني: كان ابن تيمية واعيًا بضرورة توظيف كل ما يُعِين على تعيين في مراد النص القرآني حيث قال: «واعلم أن من لم يحكم دلالات اللفظ ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي أو العرفي أو الشرعي إمّا في الألفاظ المفردة وإمّا في المركبة، وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من التركيب الذي يتغير به دلالته في نفسه، وتارة بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازًا، وتارة بما يدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه وسياق الكلام الذي يعيّن أحد محتملات اللفظ أو يبين أن المراد به هو مجازه، إلى غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور وإلّا فقد يتخبط في هذه المواضع»[21].

وهكذا رأى ابن تيمية إنه لا يمكن الاقتصار على بنائه النصي، وعلاقاته التركيبية والدلالية والمعجمية والصرفية؛ بل لا بد من تحقق جملة أمور (خارج – لغوية)، منها: المعرفة بأحوال المتكلم، العلم بأعراف المخاطبين ولغاتهم وعاداتهم وتصوراتهم، معرفة عادات المتكلم واستعمالاته، المعرفة بظروف الخطاب وسياقاته والأحوال التي جرت فيه.

المفصل لغة: مأخوذ من الفصل، وهو الحاجز بين شيئين[22].

أما في اصطلاح علماء التفسير؛ فيراد به ما يلي سور المثاني من سور القرآن، وهي السور التي يكثر الفصل بينها بالبسملة؛ لقصرها، وقيل: مفصلات؛ أي: مبينات؛ لقلة المنسوخ فيه[23].

وقد اتفق العلماء على أن المفصل ينتهي بسورة الناس، لكنهم مختلفون في بدايته، وهم في ذلك على اثني عشر قولا، وأرجح الأقوال إن المفصل يبدأ من سورة (ق)، وهو الذي رجحه السيوطي في الإتقان في علوم القرآن[24].

المبحث الأول: مواضع وضع الاسم الظاهر موضع الضمير في سياق الحديث عن المؤمنين الموحدين:

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وميَّزه بالعقل، وفضَّله على كثير من المخلوقات، وجعل كلَّ ما في الكون مسخَّرًا لخدمته، فالأرض سهلة ميسَّرة، تحوي على العديد من الكنوز والمعادن التي وُجدت له؛ لينتفع بها، ورزقه الله من الطَّيِّبات، وسخَّر له البرَّ والبحر، بعث له الرُّسل وأنزل معهم

الكتب؛ لتعليمه، وتهذيبه، وهدايته، وحثِّه على العلم والتَّدبُّر، ونبذِ التَّقليد والتَّبعيَّة؛ ليدرك بعقله أنَّ لهذا الكون خالقًا واحدًا، هو المستحقُّ للعبادة وحده، لا ندَّ ولا شريك له، فكيف يطلب الرِّزق من غيره، وهو الرَّازق الذي بيده خزائن السَّماوات والأرض؟! وكيف يعبد غيره، وكلُّ ما في الكون يشهد بوحدانيَّته، خلق الله الإنسان منحه القدرة على التَّمييز بين الخير وبين الشَّرِّ، ومنحه القوَّة والإرادة على اختيار الأصلح؛ وبيَّن له طريق الخير والشَّرِّ، ووضَّح له معالمهما، وعلى عاتقه تقع مسؤوليَّة الاختيار، وسيجني عاقبة الطَّريق الذي سار فيه.

ولمَّا كان القرآن يخاطب النَّفس البشريَّة كان لسياقات الحديث عن تلك الأنفس أحوال مختلفة ودلالات متعددة، وأساليب متنوعة، تختلف باختلاف استجابة تلك الأنفس للأوامر والنَّواهي والتي تفهم من خلال السياق، وهذا ما أشار إليه شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني[25] في نظريته الشهيرة التي عرفت بـ(النظم[*]) والتي أكد فيها أن لا سبيل لفهم النصوص إلى بالنظر إلى سياقاتها، وقد عُدّت هذه النظرية خطوة مباركة في دراسة الأسلوب في إطار السياق بعيدًا عن النظرة الجزئية للكلمة وستتضح تلك النظرية من خلال دراسة وعرض مواضع وضع الاسم الظاهر موضع الضمير في هذا السياق.

الموضع الأول: من سورة الواقعة: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ **[الواقعة: 90, 91]**.

مقتضى الظّاهر أن يضمر فيقول: (فسلام له منهم) إلّا أنّ النّظم القرآنيّ المعجز عدل عن ذلك، وأظهر؛ لنكتة بلاغيّة.

– ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾: (أمّا) بمعنى: مهما يكن من شيء، وفصل بين (ما) المتضمّنة معنى اسم الشّرط، وبين فعل الشّرط وجوابه بشرط آخر، وجواب (إنْ) الشّرطيّة محذوف أغنى عنه جواب (أمّا)[26] تقديره: (فسلام لك ياصاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين)[27].

– ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾: (السّلام): اسم للسّلامة من المكروه، ويطلق على التّحية، و(اللّام) في (لك) للاختصاص، والمراد التّنويه بهم لعلوِّ مرتبتهم ولتذهب نفس السّامع كلّ مذهب[28]، وقد اختلف المفسّرون في مرجع كاف الخطاب فذهب ابن كثير إلى أنّ كاف الخطاب موجّهة لغير معيّن[29]؛ فالسّلامة الحاصلة لأصحاب اليمين تسرُّ كلّ من يبلغه أمرها، و(مِن) ابتدائيّة، واللّفظ جرى مجرى المثل فطُوِي منه بعضه، في حين ذهب البقاعيُّ إلى أن الخطاب للنّبيّ صلى الله عليه وسلم الذي يسرُّه ما يناله أهل الإسلام من الكرامة[30]، وللفرّاء قول آخر إذ يرى أنّ الكلام على تقدير القول؛ أي: تقول له الملائكة[31]، وشبه الجملة: (مِن أصحاب اليمين): خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أنت من أصحاب اليمين، و(مِن) على هذا تبعيضيّه تحمل بشارة للمخاطب عند البعث على طريقة الالتفات.

ومقتضى الظّاهر أن يقال (فسلام له)، ولكنّ النّظم القرآنيّ عدل إلى الخطاب وأظهر (أصحاب اليمين)؛ لاستحضار تلك الحالة الشّريفة[32] وكأن المشهد حاضر أمام السامع والقارئ ويوم تناديه الملائكة (سلام لك) وكأنها منحته بطاقة عبور لنعيم لا يحول، في إشارة إلى تعظيم أصحاب اليمين؛ لأنّ السّلام من العظيم عظيم، ومراعاة للفاصلة في هذه السُّورة التي غلب عليها حرف (النُّون والميم)، وكأن الاشتراك في الصِّفات يوجب الاشتراك في المآل والجزاء[33].

الموضع الثاني: من سورة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ **[المجادلة: 22]**.

مقتضى الظّاهر أن يضمر فيقول: (أولئك حزب الله ألا إنّهم هم المفلحون)، ولكنّ النّظم القرآنيّ عدل لنكتة بلاغيّة.

– ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: افتتاح يثير التّشويق إلى معرفة حال هؤلاء القوم، والخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم وفيه أمر بإبلاغ المسلمين أنّ موادّة من يُعلم أنّه محادٌّ لله ورسوله منافية للإيمان؛ ليكفّ عنها من كان متلبّسًا بها، و(الموادّة): أصلها حصول المودّة في جانبين، وجاء بصيغة (المفاعلة)، كنايةً عن كون الودِّ صادقًا؛ لأنّ الودّ الصّادق يُقابل بمثله، ويعرف ذلك بشواهد المعاملة.

– ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾: نُهي عن الموادّاة بعلّة قرب القرابة، وقد رُتّبت أصناف القرابة في هذه الآية على طريقة التّدلّي من الأقوى إلى من دونه، وعشيرة الرّجل: قبيله الذين يجتمع معهم في جدٍّ غير بعيد، وقد أخذ العلماء من هذه الآية أنّ أهل الإيمان الكامل لا يوادُّون من فيه معنى محادّة الله ورسوله مثل أهل الظُّلم والعدوان كالمجاهرين بالكبائر والفواحش، السّاخرين من الزّواجر والمواعظ.

– ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: إشارة إلى القوم الموصوفين في الجملة التي سبقتها المستأنفة استئنافًا بيانيًّا؛ لأنّ الأوصاف السّابقة التي وُصِف به المنافقون من أنّهم حزب الشّيطان الخاسرون؛ ممّا يستشرف بعده السّامع إلى ما سيخبر به عن المتّصفين بضدِّ ذلك، وهم المؤمنون الذين لا يوادُّون من حادّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابة الإيمان في قلوبهم كناية على اتباعهم طريقه، (التّأييد): التّقوية والنّصر، وعبّر بفعل المضيّ للدّلالة على التّحقُّق والدّوام، و(روْح من الله): عنايتُه ولطفه، (ورضى الله عنهم) حاصل من الماضي محقّق الدّوام؛ ورضاهم عن ربّهم حاصل في الدُّنيا بثباتهم على الدِّين، ومعاداة أعدائه، وحاصل في المستقبل بنوال رضا الله، ونعيم الآخرة، وأمّا تحويل التّعبير إلى المضارع (ويدخلهم جنات) فالأصل الاستقبال، واستغنى بما تقدّمه وهذا الالتفات لتنبيه المسلمين إلى فضلهم، وتنبيه من يسمع ذلك بما حبا الله به المسلمين من خيري الدُّنيا والآخرة[34]، (حزب الله) إظهار موضعه الإضمار لتأكيد فلاح حزب الله في الدُّنيا والآخرة[35]

(*) النظم هو توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم من علاقات قال الجرجاني: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تبخل بشيء منها».

وإن مرّ على أولياء الله أوقات فيها قلّة، وغربة، وابتلاء بصنوف شتّى من المحن فإنّ العاقبة والفلاح لهم، كما أن في إظهارهم تعظيم لهم، وتفخيم لشأنهم [36] وإثبات لغلبتهم بالطريق البرهاني، وإشارة إلى علّة الحكم عليهم بالفلاح؛ لأنّهم حزب الله النّاصر لدين الله الذّابّين عن حياضه ولتكون الجملة صالحة للتمثُّل به مستقلّة بدلالتها في مقابلة لنظيرتها في الموضع السّابق [37]، وكما يقال (بضدّها تتمايز الأشياء).

الموضع الثالث: من سورة الحشر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ **[الحشر: 18]**.

مقتضى الظّاهر أن يضمر فيقول: (يأيُّها الذين آمنوا اتّقوا الله، وانظروا ما قدّمتم، واتّقوا الله إنّه خبير بما تعملون) إلّا أنّ النّظم القرآنيّ المعجز عدل عن ذلك، وأظهر؛ لأسباب بلاغيّة.

– ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: انتقال من الامتنان على المسلمين بما يسر الله من فتح قرية بني النّضير بدون قتال، وما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الأمر بتقوى الله شكرًا له.

– ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾: لتتأمّل كلُّ نفس فيما قدّمته للآخرة، والجملة عطف أمر على أمر، وهي معترضة بين جملة (اتقوا الله)، وبين جملة (إنّ الله خبير بما تعملون)، وذِكْرُ (نفس) إظهارٌ في مقام الإضمار؛ لأنّ مقتضى الظّاهر أن يقول (وانظروا ما قدّمتم) فعدل لقصد العموم، أي: لتنظروا وتنظر كلُّ نفس. وتنكير (نفس) يفيد العموم في سياق الأمر؛ وأطلق (غد) على الزّمن المستقبل مجازًا؛ لتقريب الزمن المستقبل من البعيد، لأنّ (الغد) هو اليوم الموالي لليوم الذي فيه المتكلّم فهو أقرب أزمنة المستقبل[38]، وتنكير (غد)؛ للتّعظيم, والتّهويل, والإبهام [39]؛ أي: لغد لا يُعرف كُنههُ، و(اللّام) في قوله: (لغد): لام العلّة؛ أي: ما قدّمته لأجل يوم القيامة، والتقديم مستعار للعمل الذي يعمل؛ لتحصيل فائدته في زمن آتٍ, وشبه قصد الانتفاع به في المستقبل بمن يحلُّ في المنزل قبل ورود السّائرين إليه من جيش، أو سفر؛ ليُهيّئ لهم ما يصلح أمرهم, ومنه مقدّمة الجيش.

– ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: أعاد الأمر وأظهر اسم الجلالة في موضع الإضمار؛ ليبنى عليه قوله: (إنّ الله خبير بما تعملون)؛ فيحصل الرّبط بين التّعليل والمعلّل إذا وقع بينهما فاصل (ولتنظر نفس ما قدّمت لغد)، وأعيد بطريق العطف زيادة في الاهتمام بالمؤكّد، وجمله: (إنّ الله خبير بما تعملون) تعليل للحث على تقوى الله، و(اتقوا الله) بمعنى: الخوف من الله؛ إذ هي الباعثة على العمل، وتكرارها يراد بها الدوام على التّقوى الأولى، وأظهر اسم الجلالة في مقام حقه الإضمار؛ لتكون الجملة مستقلّة بدلالتها فتجري مجرى الأمثال، ولتربية المهابة في نفس المخاطبين [40].

الموضع الرابع: من سورة الصف: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ **[الصف: 2، 3]**.

مقتضى الظّاهر أن يجعل فاعل (كبُر) ضمير القول بأن يقتصر على: (كبُر مقتًا عند الله)، أو يقال (كبر ذلك مقتًا)؛ ولكنّه عدل عن ذلك، وأظهر الجملة، وأعادها بلفظها؛ لنكتة بلاغيّة.

– ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾: ناداهم بوصف الإيمان تعريضًا بأنّ الإيمان من شأنه أن يمنع المؤمن من مخالفة فعله لقوله، (لِمَ): (اللّام) لتعليل المستفهم عنه، و(ما) استفهاميّة تدلُّ على أمر مبهم يطلب تعيينه، والتّقدير: تقولون ما لا تفعلون لأيّ سبب، وتتعلّق (اللام) بالفعل (تقولون) المجرور مع حرف الجرّ؛ لصدارة الاستفهام، والاستفهام مستعمل في إنكار أن يكون ذلك مرضيًّا لله سواءً أكان ذلك قولًا قالوه، أو وعدًا وعدوه، ولم يفوا به، كما فيه تعريض بالمنافقين الذين يظهرون الإيمان بأقوالهم، دون العمل بأعمال أهل الإيمان بالقلب والجسد.

– ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾: بيان للجملة السابقة، و(الكبر): مستعار للشّدّة، والمصدر المؤوّل من (أن تقولوا) فاعل (كبُر)، و(المقت): البغض الشّديد، وهو هنا بمعنى اسم المفعول، وانتصب (مقتًا) على التّمييز لجهة الكبر، وهو تميز نسبة، والتّقدير: كبر ممقوتًا قولكم ما لا تفعلونه، ونظم هذا الكلام بطريقة الإجمال ثمّ التّفصيل بالتّمييز؛ لتهويل هذا الأمر في قلوب السّامعين؛ وفيه وعيد على تجدُّد مثله، ووصف (المقت) بأنّه (عند الله)؛ إشارة إلى أنه مقت لا تسامح فيه، وعدل عن جعل فاعل (كبُر): ضمير القول بالاقتصار على (كبر مقتًا)، أو (كبر ذلك مقتًا)؛ لقصد زيادة التّهويل بإعادة لفظه، ولإفادة التّأكيد[41]، وبيان شدّة ما فعلوا[42]، (ما لا تفعلون): (ما) في الموضعين موصولة، وهي بمعنى لام العهد؛ لأنّ الوعد في مثل هذا ممّا يجب الوفاء به؛ لأنّ الموعود به طاعة، فالوعد من قبيل النّذر الذي يجب الوفاء به[43].

الموضع الخامس: من سورة الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ **[الجمعة:10]**.

مقتضى الظّاهر أن يضمر لفظ الجلالة فيقول: (وابتغوا من فضل الله، واذكروه كثيرًا)، إلّا أنّه أظهره للمحة بلاغيّة.

– ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: جعل لهم سعةً من النّهار للابتغاء أسباب المعاش؛ فلا يأخذوا من وقت الصلاة، وذكر الله و(انتشروا) أمر قُصِد به الإباحة رخصةً من الله لكم.

– ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾: واجتهدوا في طلب المعاش واكتساب المال والرّزق.

– ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: احتراس من الانصباب في أشغال الدُّنيا انصبابًا يُنسي ذكر الله، أو يشغل عن الصلوات، ووضع الظّاهر موضع الضّمير؛ تعظيمًا لشأن الذِّكر، وتفخيمًا له، وإشعارًا بأهمّية تعلُّق النّفس بخالقها، وقد يفيد الإظهار العموم، فالعبد مطالب بالعبادة في كلّ حال مجبول على النّسيان، فقال منبّهًا ومعلّلًا لهذا الأمر: (لعلّكم تفلحون)[44][45].

الموضع السادس: من سورة التّغابن: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّ ٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾ **[التغابن:6]**.

مقتضى الظّاهر أن يضمر لفظ الجلالة فيقول: (واستغنى الله، وهو غنيٌّ حميد)؛ إلّا أنّه أظهر للمحة بلاغيّة.

– ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: ارتقاء في التّعريض إلى ضرب منه قريب من الصريح، وهو المسمّى في الكناية بالإشارة؛ حيث كانت مقالة الذين من قبل مماثلةً لمقالة المخاطبين التي كانت سبب ما ذاقوه من الوبال فيوشك أن يذوق مماثلوهم مثل ذلك الوبال، واسم الإشارة عائد إلى المذكور من العذاب الأليم الذي أُعدّ لتكذيبهم بالرّسول صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم بالقرآن الذي هو أمُّ البيّنات، و(الباء): للسببية، والضمير ضمير الشّأن يُقصد به تهويل ما فسره الضّمير.

– ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّ ٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ﴾: استفهام إنكار وإبطال؛ فهم استحالوا أن يكون الرسول بشر مثلهم، وهذا من جهلهم بمراتب النُّفوس البشريّة، ومن يصطفيه الله ويخصّه بتبليغ رسالته، و(البشر): اسم جنس للإنسان يصدق على الواحد ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: 110]. ويصدق للجمع كما في الآية، وتنكير (بشر)؛ للنّوعيّة؛ لأنها محطُّ الإنكار، وتقديم المسند إليه على الخبر الفعليّ؛ لتقوية حكم الإنكار وفرّع عليه (فكفروا, وتولّوا)؛ و(التولّي): أصله: الانصراف عن المكان الذي أنت فيه، وهو هنا مستعار للإعراض عن قبول دعوة رسلهم، (واستغنى) (الواو) واو الحال, وأصلها: (غني)؛ فالسّين والتاء للمبالغة؛ والمعنى: غنى الله عن إيمانهم، فالله غنيٌّ عنهم من زمن مضى، وغنى الله عن إيمانهم مقرّر في الأزل، ومتعلّق استغنى محذوف دلّ عليه قوله (فكفروا بالبيّنات), والتّقدير (واستغنى الله عن إيمانهم).

– ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾: الجملة تذييل؛ فالله غنيٌّ غنًى مطلق عن كلّ شيء، حميد لمن امتثل وشكر[46]، وإظهار لفظ الجلالة تأكيد لغناه سبحانه عن إيمانهم، وعن طاعتهم[47] فلم يضطرهم عليها مع تمام قدرته[48]، إشارة إلى علة الحكم مع ما فيه من زيادة التمكين، وتأكيد استقلال الجملتين، وإجراء التذييل مجرى المثل.

الموضع السابع: من سورة الملك: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ **[الملك: 20]**.

مقتضى الظّاهر أن يُضمر؛ فيقول:(إن أنتم إلّا في غرور)؛ إلّا أنّ النّظم القرآنيّ عدل عن ذلك، وأظهر (الكافرون)؛ للمحة بلاغيّة.

– ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾: أصلها: (أم) و(من) وكتبت في المصحف (أمن) بميم واحدة مشدّدة بعد الهمزة، ولا تقرأ إلّا بميم مشدّدة؛ (أم) منقطعة للاضطراب الانتقاليّ من غرض إلى غرض؛ فبعد استيفاء غرض إثبات الإلهية الحقّ لله تعالى بالوحدانيّة، وتذكيرهم بأنّهم مفتقرون إليه؛ انتقل إلى إبطال أن يدفع أحد عنهم العذاب الذي توعّدهم به ووجّه إليهم الاستفهام بأن يدلُّوا على أحد ينصر هم من دون الله، فهم غير مستطيعين تعيين أحد إلّا إذا سلكوا طريق البهتان، وما هم بسالكيه؛لافتضاح أمره،، والاستفهام مستعمل في التّعجيز عن التّعيين فيؤوّل إلى الانتفاء، والإشارة مشار بها إلى مفهوم الجند الحاضر في أذهان للمخاطبين و(من): في موضع مبتدأ، و(هذا): اسم الإشارة خبر عن المبتدأ، و(الّذي هو جند): صفة لاسم الإشارة، و(لكم): صفة لـ (جند)، و(ينصركم): جملة في موضع الحال من (جند)، أو صفة ثانية لـ(جند) ويجوز أن يكون اسم الإشارة مشارًا به إلى جماعة الأصنام المعروفة والتي اتّخذوها جندًا؛ فمن هي حتى تنصركم من دون الله؟! وعليه تكون (من) استفهامية مستعملة التّحقير، واسم الإشارة صفة لاسم الاستفهام مبيّنة له، و(الذي هو جند لكم): صفة لاسم الإشارة، وجملة (ينصركم) خبر عن اسم الاستفهام؛ وجيء بالجملة الاسميّة (الذي هو جند لكم)؛ لدلالتها على الدّوام والثُّبوت؛ لأنّ الجند على استعداد للنّصر إذا دعي إليه، و(دون): أصله ظرف للمكان الأسفل ضدّ (فوق)، ويطلق على المغاير فيكون بمعنى غير على طريقة المجاز المرسل، أمّا قوله: (من دون الرّحمن) يجوز أن يكون ظرفًا مستقرًّا في موضع الحال من الضّمير المستتر في (ينصركم)؛ أي: هل من مستطيع غير الله يدفع عنكم السُّوء؟ وعليه فإنّ (مِن) مؤكّدة للظّرف وتجيء مع الظُّروف غير المتصرّفة، ولا تُجرُّ تلك الظّروف بغير (مِن).

– ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾: تذييل للاعتراض فذلك شأن الكافرين كلّهم في غرور من الغفلة عن توقع بأس الله تعالى، أو في غرور من اعتمادهم على أصنام تنفعهم وتدفع عنهم العذاب و(الغرور): ظنُّ النّفس وقوع أمر نافع لها بمخائل توهُّمها، وهو بخلاف ذلك، والظّرفيّة مجازيّة مستعملة في شدّة التّلبُّس بالغرور حتى كأنّ الغرور محيط بهم إحاطة الظّرف، وهذا قصر إضافيٌّ وقد كان لابن عاشور في تعريف (الكافرون) قول انفرد به؛ حيث قال: إنّ تعريف (الكافرين) للاستغراق[49] وليس المراد به كافرون معهودون حتّى يكون من وضع المظهر موضع الضّمير، واستوقفني كثيرا انفراد ابن عاشور بهذا القول ومخالفته من سبقه؛ مما دفعني للبحث ويعد الرجوع إلى قواعد الترجيح عند المفسرين، وظهر لي رد على ما ذكره ابن عاشور يتلخص في الآتي: «1- أن لفظ (الكافرون) جاء في سياق خطاب العرب المشركين؛ فلم يصرف هذا اللفظ عنهم، وهم يدخلون فيه دخولا أوليا. 2- أن إدخال الكلام في معاني ما قبله، وما بعده أولى من الخروج به عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له. فإن قيل: إن (أل) في لفظ (الكافرون) دليل للعموم، لأنها لاستغراق الجنس. قيل: ألا يمكن حملها على العهد الذكري، وهو قريب يدل عليه السياق. هذا والله أجل وأعلم»[50][51]، على حين ذهب البقاعيُّ وأبو السُّعود وتبعه الألوسيُّ وغيرهم، إلى أنّ فيه مخالفة النّظم لمقتضى الظّاهر ووضع الاسم الظّاهر موضع الضّمير للُّمح كذمُّ المخاطبين بالكفر، وبيان علّة غرورهم؛ وهي كفرهم[52][53]؛ كما أنّ فيه إفادة العموم؛ فالمخاطبون وغيرهم من الكفار في غرور، وتعليق الحكم بالوصف لا بالذّات، فمواجهة المخاطبين بوصفهم بالكفر أشدُّ في التّوبيخ[54].

الموضع الثامن: من سورة المعارج: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ﴾ **[المعارج: 27, 28]**.

مقتضى الظّاهر أن يقول: (والّذين هم من عذاب ربّهم مشفقون إنّ عذابه غير مأمون)؛ إلّا أنّ النّظم القرآنيّ خالف مقتضى الظّاهر وأظهر (ربهم) لنكتة بلاغيّة.

– ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾: أي: مشفقون من عذاب ربّهم المحسن إليهم لا من عذاب غيره؛ لأنّ المحسن أولى بأن يخشى و(الإشفاق) توقُّع حصول المكروه، وأخذ الحذر منه، وفي صوغ الصِّلة بالجملة الاسميّة

تحقُّق وثبات اتّصافهم بهذا الإشفاق.

– ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾: الجملة معترضة؛ أي: غير مأمون لهم[55]، فالمقام مقام ترهيب لذا أظهر (ربهم) في مقام حقه الإضمار تلميحًا وتأكيدًا وتوبيخًا إلى أنّ العذاب من ربّهم، فهو القادر على الانتقام منهم؛ ولأنّ الجملة اعتراضيّة، فهي بمثابة الأجنبيّة عمّا قبلها، وما بعدها، فناسب ذلك الإظهار؛ تأكيدًا على استقلالها، وحتّى تصبح كالمثل[56].

المبحث الثاني: مواضع وضع الاسم الظاهر موضع الضمير في سياق الحديث عن المشركين والعصاة والمنافقين.

تناولت سياقات الحديث عن المشركين والعصاة والمنافقين دعوتهم إلى اتباع الهدى، والإيمان بالله ورسوله، والتأمل في ملكوت السنوات والأرض، ووصفتهم بالعديد من الصفات الذميمة، وحذرتهم من التمادي في الكفر والفسوق والعصيان في العديد من السياقات بالأساليب متنوعة كالتحقير والترهيب والتنكيل والوعد والوعيد بالعذاب المهين لأصحاب الجحيم.

الموضع الأول: من سورة الواقعة: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ **[الواقعة: 8، 9]**.

مقتضى الظَّاهر أن يُضمر (فأصحاب الميمنة ما هم، وأصحاب المشأمة ما هم) إلَّا أنَّ النَّظم القرآنيَّ عدل عن ذلك، وأظهر لمحة بلاغيَّة.

– ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: بعد أن قسم النَّاس وفصَّل أحوالهم ونعيمهم؛ في إشارة إلى أنَّ العينَ ليس كالأثرِ، فأصحاب الميمنة الذين يُجعلون في الجهة اليمنى في الجنَّة أو في المحشر، واليمين جهة عناية وكرامة في العُرف، وهي مشتقَّة من (اليُمن)؛ أي: البركة.

– ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: اسم جهة مشتقَّة من (الشُّؤم)، والمشأمة ضدُّ الميمنة، ويراد بها: الضّرُّ، وعدم النَّفع[57] ومقابلة أصحاب المشأمة بأصحاب الميمنة؛ إشعارًا بأنّ حالهم حال شؤم وسوء، وهو مستعار لما عرف في كلام العرب في هذا المعنى الكِنائيّ الذي شاع حتّى ساوى الصّريح، وأصله من الزّجر والعيافة إذ كانوا يتوقّعون حصول خير من مرور الطّير أو الوحش عن يمين الزّاجر إلى يساره، ويتوقّعون الشر من مروره بعكس ذلك؛ ولذلك استغنى هنا عن الإخبار عن كلا الفريقين بخبر فيه وصف لحاليهما بطريقة الاستفهام المستعمل في التّعجُّب من حال الفريقين في السّعادة

والشّقاوة، وهو تعجُّب تُرِك على إبهامه؛ لتذهب نفس السّامع كلّ مذهب ممكن من الخير والشّرّ، وإظهار (أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة) بعد الاستفهامين دون الإتيان بضميريهما إشارة اقتضاه مقام التعجُّب والتشهير[58]، ويرى أبو السُّعود أنّ القصد من الإظهار التّعظيم والتّفخيم لما ينال الفريقين من جزيل الثّواب وأليم العقاب وكأنّه يقول: أصحاب الميمنة في غاية الحسن، وأصحاب المشأمة في غاية السُّوء[59].

الموضع الثاني: من سورة المجادلة: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ **[المجادلة: 19]**.

مقتضى الظّاهر أن يضمر المضافين فيقول:(أولئك حزب الشيطان ألا إنّهم هم الخاسرون)؛ ولكنّ النّظم القرآنيّ عدل عن ذلك وأظهر لنكتة بلاغيّة.

– ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: لمّا كان الانهماك فيما لا يُغني يُعمي البصيرة، ويقود صاحبه إلى الخسران؛ أخبر عن الحامل لهم عليه، فقال مستأنفًا استئناف لبيان ما سيق من استحواذ الشيطان عليهم، وامتلاكه زمام أنفسهم، وهل يرضى الشّيطان إلا بأشدِّ الفساد والغواية؟! والاستحواذ: الاستيلاء والغلب، من (حاذ حوذًا) إذا حاط شيئًا، وقلّبه كيف يريد والسّين والتّاء للمبالغة، و(الأحوذي): القاهر للأمور الصعبة.

– ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾: النِّسيان المراد به الإضاعة، وترك المنسي، و(الذّكر): يطلق على نطق اللِّسان باسم أو كلام، ويطلق على التّذكُّر بالعقل، وهو هنا مستعمل في صريحه وكنايته والمعنى أنّه أنساهم توحيد الله بكلمة الشّهادة والتّوجُّه إليه بالعبادة، فالّذي لا يتذكّر شيئًا لا يُتوجّه إلى واجباته.

– ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: الجملة نتيجة الاستحواذ الذي صيّرهم أتباع له، وأفاد اسم الإشارة زيادة في تمييزهم؛ لئلّا يُتردّد في أنهم حزب الشيطان، و(حزب المرء) أنصاره، وجنده، ومن يواليه.

– ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: الجملة واقعة موقع التّفرُّع[60] والتسبُّب – كل شيء يتوصل به إلى غيره فهو سبب له –[61] للجملة السابقة وكان مقتضى الظّاهر أن يضمر (حزب الشيطان) فيقول: ألا إنّ حزبه هم الخاسرون, ولكنه عدل عن ذلك إلى حرف الاستفتاح؛ تنبيهًا على أهميّة مضمونه، وأنّه ممّا يستحقُّ العناية باستحضاره في الأذهان؛ مبالغة في التّحذير من الاندماج فيهم, والتّلبُّس بأحوالهم المذكورة آنفًا، وزِيد التّحذير بتأكيد الخبر بحرف التّوكيد (إنّ)، وبصيغة القصر فخسارة حزب الشيطان من القضايا المسلّمة بين البشر، ولم تكن هذه المؤكّدات لرد الإنكار، بل لتحذير المسلمين أن تغرّهم حبائل الشّيطان، وتروق في أنظارهم كما أنّ في الإظهار زيادة في التّصريح بذمِّهم، ولتكون الجملة صالحة للتّمثُّل بها مستقلّةً بدلالتها، وضمير الفصل أفاد القصر، وهو قصر ادِّعائي؛ للمبالغة في مقدار خسرانهم وكأنّ وصف الخاسر مقصور عليهم[62]، تأكيدًا على خسرانهم[63]؛ لأنّ هناك من يظنُّ ربحهم بما لهم في الدُّنيا من الكثرة, والاستدراج بالبسط والسّعة[64] كما أنّ فيه تسجيل قبح وصفهم، وإشارة إلى علّة الحكم بالخسارة[65]، وذكر الزّركشي أنّ سرّ آخر هو قصد الإهانة والتحقير[66].

الموضع الثالث: من سورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ **[الصف: 5]**.

مقتضى الظّاهر أن يضمر فيقول: (والله لا يهديهم)؛ لأنّ مرجعه قريب، ولكنّه أظهر (الفاسقين)؛ لسر بلاغيّ.

موقع هذه الآية هنا حفيُّ المناسبة، فيجوز أن تكون الجملة معترضةً استئنافًا ابتدائيًّا انتقل فيها إلى التّعريض بقوم آذوا النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالقول أو بالعصيان كالمنافقين الذين وُسِموا بأذى الرّسول، ويجوز أن يكون من تتمّة الكلام الذي قبله بضرب الله مثلًا للمسلمين تحذيرًا لهم من

إتيان ما يؤذي رسوله ويسوءه؛ خشيته من أن يكون ذلك سببًا للزّيغ والضّلال كما حدث لقوم موسى لمّا آذوه.

– ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي﴾: (الواو) عطف تحذير أريد به تسلية الرّسول صلى الله عليه وسلم على ما حصل من مخالفة الرُّماة التي ألحقت بالمؤمنين الهزيمة. (إذ) متعلّقة بفعل محذوف تقديره (اذكر) وابتداء كلام موسى عليه السّلام بـ(يا قوم) تعريض بأن شأن قوم الرّسول أن يطيعوا رسولهم ولا يؤذوه، والنّداء وصف (قوم) تمهيد للإنكار، والاستفهام للإنكار إنكار أن يكون للأذيّة سبب.

– ﴿وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: جملة الحال تفيد الترقّي في الإنكار، و(من) لتحقيق معنى الحاليّة، و(قد): تفيد تأكيد حصول المعلوم، و(أنّ): المفتوحة تأكيد آخر، والمعنى: كيف لا يجري أمركم على وفق هذا العلم؟! والتّعبير بالفعل المضارع هنا دلالة على أنّ علمهم بذلك مجدّد بتجدُّد الآيات والوحي.

– ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾: الزّيغ: الميل عن الحقّ؛ أي: لمّا خالفوا ما أمرهم رسولهم جعل الله في قلوبهم زيغًا فلم ينفكوا عن الضّلال.

– ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: الجملة تذييل؛ أي: هذه سنّة الله في النّاس، وذِكر وصف الفاسقين جاريًا على لفظ (القوم) دون إضماره إيماء إلى الفسوق الذي دخل في مقوّمات قوميّتهم، وكأن الفسوق سجيّةً لهم[67]، وتعليل لعدم هدايتهم، وذمّهم بالفسق الموجب للزّيغ[68].

الموضع الرابع: من سورة الجمعة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **[الجمعة:7]**.

مقتضى الظّاهر أن يضمر فيقول: (والله عليم بهم) إلّا أنّه أظهر (الظالمين) مخالفًا بذلك مقتضى الظّاهر للطيفة بلاغيّة.

– ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا﴾: اعتراض بين جملتي القولين: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ﴾ [الجمعة:8]، قُصِد به تحدّيهم؛ لإقامة الحجّة عليهم بأنهم ليسوا أولياء الله، وليس المقصود منه معذرتهم من عدم تمنّيهم الموت.

– ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ﴾ (الباء) سببية متعلّقة بالفعل (يتمنّونه) المنفيّ، فما قدّمت أيديهم هو الذي ألقى في نفوسهم الخوف فكان سبب صرفهم عن تمنّي الموت، و(ما) موصولة، وعائد الصّلة محذوف، والتقديم: أصله جعل الشّيء مقدّمًا سابق لغيره، واستعير هنا لما سلف من العمل و(الأيدي): مجاز في اكتساب الأعمال؛ والمراد سيّئاتهم، ومعاصيهم بقرينة المقام.

– ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فكنّي بعلم الله بأحوالهم على عدم انفلاتهم من الجزاء وفيه وعيد لهم[69]، وإظهار وصفهم بـ(الظّالمين) ومخالفته لمقتضى الظّاهر إفادة لعموم علمه[70]، ولذمّهم بالظُّلم وفيه عيد لكلّ ظالم بأنّ الله مطّلع عليم فليحذروا عقابه، وتسجيل عليهم بالظُّلم[71].

الموضع الخامس:من سورة الجمعة: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ **[الجمعة:11]**.

مقتضى الظّاهر أن يضمر لفظ الجلالة فيقول: (وهو خير الرّازقين) إلّا أنّ النّظم القرآنيّ عدل عن ذلك أظهر للمحة بلاغيّة.

– ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً﴾: عطف على الجملة التي سبقتها عطف توبيخ على تركهم المأمور، والتفات لخطاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم إيذانًا بأنّ الخطاب صُرف عنهم فحُرِموا من عزّ الحضور، وأنزلوا منزلة الغائبين، وفيه تعريض بالتّوبيخ ومقتضى الظّاهر في الآية أن يقال: (وإذا رأيتم تجارةً أو لهوًا فلا تنفضُّوا إليها)، ومن مقتضيات تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر أن يكون التّوبيخ غير شامل لجميع المؤمنين إذ بقي نفر بقوا مع النّبيّ حين خطبته، ولم يخرجوا، هٰذا ما أكدته السنة النبوية؛ ففي الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة؛ فأقبلت عير من الشام فانتقل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا، فأنزل الله فيهم هذه الآية)[72]، (إذا): ظرف للزّمان الماضي مجرّد عن معنى الشّرط؛ لأنّ هذا الانفضاض مضى.

– ﴿أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾: (أو) هنا للتّقسيم فمنهم من انفضّ؛ لأجل التّجارة، ومنهم من انفضّ؛ لأجل اللّهو، وتأنيث الضمير (إليها) تغليب للفظ (تجارة)؛ لأنها الحدث الذي نزلت فيه الآية، و(الانفضاض): مطاوع (فضّه) إذا فرقه وغلب إطلاقه على غير معنى المطاوعة:

– ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾: تفظيع لفعلهم إذ فرّطوا في سماع وعظ النّبيّ صلى الله عليه وسلم وتركوه قائمًا على المنبر، والجملة حاليّة والآية تدلُّ على وجوب حضور الخطبة في صلاة الجمعة إذ لم يقلْ (وتركوا الصّلاة) لذا أمر الله نبيه أن يعظهم بأنّ ما عند الله سبحانه من الثّواب خير من التّجارة ولذة اللّهو.

– ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: الجملة تذييل لما سبق؛ لأنّ الله يرزق من يرضى عنه رزقًا سليمًا من الأكدار والآثام في الدُّنيا والآخرة[73]، وقد وُضع الاسم الظّاهر موضع الضّمير؛ لتستقلّ هذه الجملة بذاتها فتجري مجرى المثل، كما تفيد الاختصاص، وفيها إشارة إلى الإشعار بأهميّة افتقار النّفس إلى خالقها، وأنّها من مقتضيات الألوهيّة.

▪ **الموضع السادس:** من سورة القيامة: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ **[القيامة: 3–5]**.

مقتضى الظّاهر أن يضمر في الآية الثّالثة؛ لقرب العهد، واتّصال الحديث؛ فيقول: (أيحسِب الإنسان أن لن نجمع عظامه، بلى قادرين على أن نسوي بنانه، بل يريد ليفجر أمامه)؛ إلّا أنّ النّظم خالف وأظهر (الإنسان) لنكتة بلاغيّة.

– ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾: دليل على جواب القسم, والتّقدير (لنجمعنّ عظامكم، ونبعثُكم للحساب)، والتّعريف في (الإنسان) للجنس، ووقوعه في سياق الإنكار يقتضي العموم، وهو عموم عرفيٌّ منظور فيه إلى غالب النّاس يومئذٍ؛ فالمؤمنون بينهم قليلًا؛ والمعنى: أيحسِب الإنسانُ الكافرُ، وجملة (ألّنْ نجْمع عِظامهُ) مركبة من (أنْ) المفتوحة الهمزة المخفّفة النُّون؛ واسمها: ضمير شّأن محذوف، والجملة الواقعة بعد (أنْ) في محلّ رفع خبر (أنْ) المخفّفة، وجيء بـ (لن) الدّالة على تأكيد النّفي؛ لاعتقاد المشركين باستحالة

جمع العظام بعد لفناء، والعظام كناية عن الجسد كلِّه، فإثبات إعادة العظام اقتضى إعادة بقيّة الجسم، وفي ذلك كفاية من الاستدلال مع الإيجاز، وفعل (نجمع): مستعار للخلق الذي هو على صورة الجسم الذي بلِي، ومناسبة استعارته؛ لتجنُّب الدُّخول معهم في تصوير كيفية البعث سواءً أكان خلقًا مستأنفًا أو مبتدأً من أعجاب الأذناب(**).

– ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾: (بلى) حرف إبطال للنّفي الذي دلّ عليه (لن نجمع عظامه)، و(قادرين) حال من الضمير في الفعل المحذوف بعد (بلى)، أي: بل نجمعها في حال قدرتنا على أن نسوّي بنانه، ويجوز أن يكون (بلى) إبطالًا للنّفيين: النّفي الذي أفاده الاستفهام الإنكاريُّ من قوله: (أيحسب) وهو إبطال بزجر، و(قادرين) مفعولًا ثانيًا لـ(يحسِبنا) المقدّر، وعدل عن أن يقال (قادرين على جمع عظامه) إلى (قادرين على أن نسوي بنانه)؛ لأنّه أوفر معنى وأوسع في إجمال كيفية البعث والإعادة والتّسوية: تقويم الشيء، وإتقان الخلق، و(البنان): اسم جمع وهي أصابع اليدين والرِّجلين، أو أطراف تلك الأصابع، وإذ كانت البنانُ أصغر الأعضاءِ كانت تسويتُها كنايةً عن تسوية جميع الجسد.

– ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾: إضراب انتقاليٌّ إلى ذكر حال آخر من أحوال فجورهم، وجملة: (يريد الإنسانُ) يجوز أن تكون إخبارًا عمّا في نفوس أهل الشِّرك من محبّة الاسترسال فيما هم عليه من الفسق والفجور، ويجوز أن تكون استفهامًا إنكاريًّا موافقًا لسياق ما قبله، وإعادة لفظ (الإنسان) إظهار في مقام الإضمار؛ لأنّ المقام مقام تقريع، وتعجب من ضلال الإنسان[74]، وللتّصريح بالتّعميم لمقتضى طبع الإنسان المعنيِّ بشهواته؛ فلا نجاة إلّا بعصمة الله[75]؛ وتأكيد على قبح كفر الإنسان من حيث إنّ الإنسانيّة تأبى ذلك، وكأنّه يتصوّر بصورة الغباوة وليست به، لظهور أدلّة العقل وكثرتها[76] و(الفجور): فعل السُّوء الشّديد، ويطلق على الكذب، ومنه وصفت اليمين الكاذبة بالفاجرة،و(اللّام) في (ليفجر) هي (اللّام) التي يكثر وقوعها بعد مادّتي الأمر والإرادة، وينتصب الفعل بعدها بـ (أنْ) مضمرة؛ لأنّ أصل هذه اللّام لام التّعليل، و(أمام): أصله اسم للمكان الذي هو قبالة من أضيف هو إليه, وهو ضدُّ (خلْف)، ويطلق مجازًا على الزّمان المستقبل، وضمير (أمامه) يحتمل أن يعود إلى الإنسان؛ أي: الذي يسير قُدُمًا راكبًا رأسه لا يقلع عمّا هو فيه من الفجور فينكر البعث، ويجوز أن يكون (أمامه): أُطلق على اليوم المستقبل مجازًا[77].

الموضع السابع من سورة النبأ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ **[النبأ:40]**.

مقتضى الظّاهر أن يقول: (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول يا ليتني كنت ترابًا) لمن فسّر (المرء) بالكافر، إلّا أنّ النّظم القرآنيّ عدل عن ذلك، وأظهر؛ لنكتة بلاغيّة.

افتتحت السورة بالحديث عن النبأ العظيم وما قدّم من الحكم والمواعظ واللّطائف والوعد والوعيد، وأتبع ذلك مهدِّدًا ومؤكِّدًا لما لهم من التّكذيب قائلًا:

– ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ بما لنا من كمال العظمة أنذرناكم أيُّها الأمّةُ عامّة بدلالة (الكاف، والميم)؛ وإن كان الخطاب لمن حضر النّبيّ صلى الله عليه وسلم من الكفّار، والعذاب القريب: عذاب الآخرة، ووصفه بالقرب لتحقُّق وقوعه، وقرب العذاب مستعمل مجازًا في تحقُّقه، وإلا فإنه بحسب العرف بعيد.

– ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (المرء) اسم للرّجل ومؤنّثه امرأة، والاقتصار على (المرء) تغليبًا، فقد جرى على غالب استعمال العرب في كلامهم استعمال (المرء)؛ لأنّ المرأة كانت بمعزل عن المشاركة في شؤون ما كان خارج البيت، وهذا يُعلم من استقراء الشريعة الدّال على عموم التّكاليف للرِّجال والنِّساء إلا ما خُصّ منها بأحد الصِّنفين؛ والمعنى: ينظر المرء ذكرًا كان أو أنثى إلى ما قدّمت يداه بعد قيام للحجّة عليه، وتعريف (المرء) للاستغراق[78].

وللعلماء في المراد بـ (المرء) أقوال جمعها الرّازيُّ، ولخّصها في ثلاثة أقوال:

1- المراد به العموم، وهو الظّاهر عنده وتلاه البقاعي[79].

2- المراد به الكافر، وإليه ذهب الزّمخشريُّ، وتلاه أبو السعود[80].

3- المراد به المؤمن، وقد نقله القرطبي وتلاه السيوطي عن الحسن[81].

والّذي يصلح شاهدًا للإظهار هو القول الثّاني الذي ذكره الزّمخشريُّ[82].

– ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾: يتمنى أن يكون شيئًا حقيرًا فلا يُحاسب ولا يُلتفت إليه، و(الكافر): اسم ظاهر وضع موضع الضّمير لمن فسّر (المرء) بـ (الكافر)؛ كالزّمخشريّ ومن وافقه.

والغرض من مخالفة الكلام لمقتضى الظّاهر الزّيادة في الذّمّ[83]، وعلّل القونويُّ لذلك بأنّ دلالة فعل الإنذار تناسب الكفار، ورأى ابن التّمجيد أنّ إظهاره وجود قرينة هي دلالة الخطاب الوارد في حقّ الكافر في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ:30]، وهذا متّصل بالمعنى[84]، ويرى أبو القاسم بن حبيب أنّ الكافر هنا إبليس إذا رأى ما سيحصل للمؤمنين من بني آدم من الثّواب، قال: (يا ليتني كنت ترابًا)؛ أي: كآدم الذي خُلق من تراب واحتقره.

والّذي يظهر لي – والله أعلم – أنّ المراد بـ (المرء) في الآية العموم، فلا شاهد فيه حينئذٍ؛ وهو ما رجّحه الرّازيُّ قائلاً:

«الأظهر أنّ (المرء) عامٌّ في كلِّ أحد؛ لأنّ المكلّف إن كان قدّم عمل المتقين، فليس له إلا الثواب العظيم، وإن كان قدّم عمل الكافرين، فليس له إلّا العقاب الذي وصفه الله – تعالى – فلا رجاء لمن ورد القيامة من المكلّفين في أمر سوى هذين، فطُوبى له إن قدّم عمل الأبرار، وويلٌ له إن قدّم عمل الفجّار»[85].

(**) جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبدا. فيه يركب يوم القيامة). قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: «عجْب الذنب». (2271/4)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين: 2955.

الخاتمة:

الحمد لله على نعمته التي منّ بها عليّ، وعونه الذي أمدّني به، وأساله سبحانه أن يتمّ ليّ النِّعمة، وأن يجعلها من الصّالحات التي لا تتمُّ إلّا بحوله وقوته، وأستعيذ به سبحانه من أن أقول ما لا يرضيه أو ما ليس لي به علم.

ها هي رحلة البحث في آخر مطافها تخطُّ حروفها الأخيرة، وتختم مسائلها بعد تلك القفار المضنية، والمفاوز المتعبة؛ فما خاب من سعى وطلب، وسأل الله التّوفيق والمدد.

وقفت في هٰذا البحث على خمسة عشر موضعًا؛ قمت بجمعها، وعرضها، وتحليلها تحليلًا بلاغيًّا، وكشفت السِّتار عن أسرارها البلاغيّة مستعينة بالله، ثم بما أثر عن البلاغيّين والمفسِّرين، وتوصّلت من خلالها إلى جملة من النتائج تتلخّص في الآتي:

– أنّ خروج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر – وضع الاسم الظّاهر موضع الضّمير– من الأساليب البلاغيّة القرآنيّة التي لم تولّ عناية كافية من الباحثين بالرُّغم من عناية البلاغيّين والمفسِّرين بهٰذا الأسلوب في ثنايا كتبهم وتفاسيرهم.

– استطاع البلاغيُّون والمفسِّرون استجلاء السِّمات الأسلوبيّة لهٰذا الفنِّ الأسلوبيِّ، وكشفوا النِّقاب عن أسراره البلاغيّة.

– أثبتت الدِّراسة أنّ هٰذا الأسلوب البلاغيّ من الأساليب الدّقيقة المسلك اللّطيفة المأخذ، والتي تحتاج إلى تأمُّل عميق وبُعد نظر، ومعرفة بعلوم اللُّغة العربيّة، والتي قد لا تظهر لعامّة النّاس، ورحم الله الإمام الزرّكشيّ القائل: «وليْس لِغيْرِ الْعالِمِ بِحقائِقِ اللُّغةِ، ومفْهُوماتِها تفْسِيرُ شيْءٍ مِن الْكِتابِ الْعزِيزِ، ولا يكْفِي فِي حقِّهِ تعلُّمُ الْيسِيرِ مِنْها...»[86].

– كشفت الدِّراسة عن السِّياق ودوره في كشف أسرار هٰذا الفنِّ البلاغيِّ، ويمكن تصنيفها بحسب أحوال العباد، ومدى استجابتهم لتلقِّي الأوامر، والنّواهي إلى صنفين:

1– سياق الحديث عن المؤمنين الموحّدين: وفيه خالف الكلام مقتضى الظّاهر، ووضع الاسم الظّاهر موضع الضّمير؛ لنكت بلاغيّة؛ أبرزها: تكريم المؤمنين، وتعظيم شأنهم، وإظهار لرعاية الله لهم، وعنايته بهم، ومعيّته لهم سبحانه.

2– سياق الحديث عن المشركين والمنافقين والعصاة: وفيه خالف الكلام مقتضى الظّاهر، ووضع الاسم الظّاهر موضع الضّمير؛ لنكت بلاغيّة كثيرة؛ أبرزها: ذمُّهم، وتوبيخهم، والتّعجُّب من شأنهم، والتّشهير بكفرهم ووسمهم به، كما قد يفيد العموم، والتّحقير، والإهانة، والتّقريع في إشارة إلى تربية المهابة في النّفس.

– من رواد هٰذا الأسلوب والمتذوّقين له من البلاغيّين والمفسِّرين: ابن عاشور، الزّمخشريُّ، البقاعيُّ، الرّازيُّ، أبو السُّعود، والألوسيُّ.

أما الصِّعاب التي واجهتني فهي قلّة كلام أهل العلم من المفسِّرين عن هٰذا الفنِّ، وقلّة المصنّفات المتخصّصة في هٰذا الفنِّ قلّةً من الصُّعوبة بمكان أن آتي بمسائل لم يذكرها السّلف، وأنا الأمة الفقيرة إلى عفو ربها أضعف من أن أقول في كلام ربِّي ما ليس لي به علم، بيد أنِّي سألته بقلب مطمئن أن يهديني سبل التّوفيق والسّداد، واستعذت به من الزّيغ والضّلال، ولم أدخر جهدًا في البحث من أجل الوصول إلى مادة علمية نافعة فإن وفقت فـ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وإن قصّرت فحسبي أني طالبة علم، وهذا هو مبلغ علمي ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك، وأتوب إليك.

الإفصاح والتصريحات:

تضارب المصالح: ليس لدى المؤلف أي مصالح مالية أو غير مالية ذات صلة للكشف عنها. المؤلفون يعلنون عن عدم وجود أي تضارب في المصالح.

الوصول المفتوح: هذه المقالة مرخصة بموجب ترخيص إسناد الإبداع التشاركي غير تجاري 4.0 الدولي (CC BY- NC 4.0)، الذي يسمح بالاستخدام والمشاركة والتعديل والتوزيع وإعادة الإنتاج بأي وسيلة أو تنسيق، طالما أنك تمنح الاعتماد المناسب للمؤلف (المؤلفين) الأصليين. والمصدر، قم بتوفير رابط لترخيص المشاع الإبداعي، ووضح ما إذا تم إجراء تغييرات. يتم تضمين الصور أو المواد الأخرى التابعة لجهات خارجية في هذه المقالة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقالة، إلا إذا تمت الإشارة إلى خلاف ذلك في جزء المواد. إذا لم يتم تضمين المادة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقال وكان الاستخدام المقصود غير مسموح به بموجب اللوائح القانونية أو يتجاوز الاستخدام المسموح به، فسوف تحتاج إلى الحصول على إذن مباشر من صاحب حقوق الطبع والنشر. لعرض نسخة من هذا الترخيص، قم بزيارة:
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0

قائمة المراجع:

* (مرتّبة بحسب تسلسل ورودها في البحث).

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1422هـ، 13/1.

(2) السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ضبطه كتب هوامشه وعلق عليه: نعيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ، 186/1.

(3) القزويني، محمد عبد الرحمن، الإيضاح في علوم القرآن، تحقيق: محمّد عبدالمنعم، دار الجبل، بيروت، ط3، 41/1.

(4) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط3، 1407هـ، 14/1.

(5) القاسمي، محمد أحمد، علوم البلاغة والبديع والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2003م، ص280-281.

(6) حنبكة، عبد الرحمن، كتاب البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ، 478/1- 479.

(7) إدريس، محمد أبكر، الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة آل عمران، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، بجامعة المدينة العالمية بماليزيا، 2011م، ص90-91.

(8) الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللُّغة، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر، دمشق، 1399هـ، مادة (ظ هـ ر)، 471/3.

(9) الشّريف الجرجانيّ، علي بن محمد بن علي الزين، كتاب التّعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1403هـ)، ص143.

(10) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الصّادر, بيروت، ط3، 1414هـ، كتاب الراء فصل الضاد المعجمة، 491/3- 492.

(11) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ط: ت/د، 364/2.

(12) الإستراباذيّ، الرّضي محمّد، شرح الرّضي على الكافية، تحقيق: إميل بديع، دار الكتب العربية، بيروت، 1998م، 6/3.

(13) الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ، 455/1-456.

(14) أبو موسى، محمد محمد، خصائص التّراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، ص241.

(15) القزويني، محمد عبد الرحمن، الإيضاح في علوم القرآن، (مرجع سابق)، 82/2-84.

(16) الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1376هـ، 384/2.

(17) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1439هـ، 216/3- 218.

(18) السّمين الحلبيّ، شهاب الدين أحمد، الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، ط: ت/د، 381/1.

(19) الكعبي، راشد، بلاغة الإطناب في سور المفصّل، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، كليّة اللُّغة العربيّة، ص195-196.

(20) الأزهريّ، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمّد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، (باب القاف والسين)، 185/9.

(21) ابن تيمية، تقي الدين أبو عباس أحمد بن عبد الحليم، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ، 475/6.

(22) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (مرجع سابق)، (كتاب اللام فصل الفاء)، 522/11.

(23) الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، (مرجع سابق)، 245/1.

(24) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن (مرجع سابق)، 221/1.

(25) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1413هـ، ص81.

(26) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية، تونس، 1984هـ، 348/27.

(27) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشّاف، (مرجع سابق)، 470/4.

(28) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 348/27.

(29) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمّد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1419هـ، 550/7.

(30) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، ط: ت/ د، 246/19.

(31) الفراء، يحي ين زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد النّجاتيّ، ومحمّد النّجّار، وعبد الفتّاح الشّلبيّ، دار المصريّة، مصر، ط1، 131/3.

(32) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 349/27.

(33) أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ت/ د)، 202/8.

(34) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 57/28-61.

(35) أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (مرجع سابق)، 224/8.

(36) الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، (مرجع سابق)، 485/2.

(37) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 55/28.

(38) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 110/28-111.

(39) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشّاف، (مرجع سابق)، 508/4.

(40) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 111/28 -112.

(41) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 174/28- 176.

(42) الزّحيليّ، وهبة، التّفسير الميسّر، دار الفكر، دمشق، ط1، 1411هـ، 160/28.

(43) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 176/28.

(44) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 226/28-227.

(45) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، (مرجع سابق)، 67/20- 68.

(46) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 268/28 - 270.

(47) أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (مرجع سابق)، 256/8.

(48) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشّاف، (مرجع سابق)، 547/4.

(49) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 42/29-43.

(50) الحربي، حسين علي، قواعد التّرجيح عند المفسّرين، دراسة نظريّة، المملكة العربيّة السُّعوديّة، دار القاسم، ط2، 1429هـ ، 109/1.

(51) الكعبي، راشد، بلاغة الإطناب في سور المفصّل، (مرجع سابق)، ص228-229.

(52) أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (مرجع سابق)، 8/9.

(53) الألوسي، شهاب الدين محمود، تفسير الألوسيّ = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، تحقيق = عليٌّ عبد الباري عطية، دار الكتب العربية، بيروت، ط1، 1415هـ، 405/20.

(54) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، (مرجع سابق)، 405/20.

(55) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 172/19، 173.

البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، (مرجع سابق)، 405/20.

(56) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، (مرجع سابق)، 406/20.

(57) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 286/27.

(58) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 286/27.

(59) أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (مرجع سابق)، 189/8.

(60) عبد الحميد، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ، 3(ف.4730.ف ر ع).

(61) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (مرجع سابق)، (ب فصل السين المهملة)، 458/1.

(62) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 55/28.

(63) أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (مرجع سابق)، 223/8.

(64) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، (مرجع سابق)، 394/19.

(65) القونويّ، عصام، حاشية القونويّ على تفسير البيضاويّ، ومعه حاشية ابن التّمجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، 518/18.

(66) الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، (مرجع سابق)، 486/2.

(67) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 177/28- 179.

(68) أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (مرجع سابق)، 243/8.

(69) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 217/28، 218.

(70) القنوجي، محمّد صدِّيق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، عُنِيّ بطبعه وتقديمه ومراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، 1412هـ، 135/14.

(71) أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (مرجع سابق)، 249/8.

الألوسي، شهاب الدين محمود، تفسير الألوسيّ، (مرجع سابق)، 291/14.

(72) النيسابوريّ، مسلم الحجّاج بن مسلم، الكتاب الجامع = صحيح مسلم، تحقيق: أحمد بن رفعت، ومحمد عزت، ومحمد شكري، دار الطباعة العامرة، تركيا، 1334هـ)، كتاب الجمعة، ر: 863.

(73) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 227/28- 230.

(74) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 339/29، 343.

(75) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، (مرجع سابق)، 90/21.

(76) أطفيش، محمّد بن يوسف، تيسير التّفسير للقرآن الكريم، وزارة التُّراث والثّقافة، عمان، 1418هـ، 301/14.

(77) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 341/29- 243.

(78) ابن عاشور، محمد الطاهر، التّحرير والتّنوير، (مرجع سابق)، 55/30- 57.

(79) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير = تفسير الرازي، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط3، 1420هـ، 26/31.

(80) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشّاف، (مرجع سابق)، 691/4.

أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (مرجع سابق)، 95/9.

(81) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ط: ت/د)، 401/8.

(82) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشّاف، (مرجع سابق)، 691/4.

(83) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشّاف، (مرجع سابق)، 691/4.

(84) القونويّ، عصام، حاشية القونويّ على تفسير البيضاويّ ومعه حاشية ابن التمجيد، (مرجع سابق)، 44/20، 45.

(85) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (مرجع سابق)، 26/31.

(86) الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، (مرجع سابق)، 165/2.

References

(1) Aljahz, 'emrw bn bhr, albyan waltbyyn, dar wmktbh alhlal, byrwt, t2, 1422h, 1/13.

(2) Alskaky, ywsf bn aby bkr, mftah al'elwm, dbth ktb hwamshh w'elq 'elyh: n'eym, dar alktb al'elmyh, byrwt, t2, 1407h, 1/186.

(3) Alqzwyny, mhmd 'ebd alrhmn, aleydah fy 'elwm alqran, thqyq: mhmd 'ebd almn'em, dar aljbl, byrwt, t3, 1/41.

(4) Alzmkhshry, abw alqasm mhmwd bn 'emrw, alkshaf 'en hqa'eq ghwamd altnzyl, dar alktab al'erby, byrwt, t3, 1407h, 1/14.

(5) Alqasmy, mhmd ahmd, 'elwm alblaghh walbdy'e walm'eany, alm'essh alhdythh llktab, trabls, t1, 2003m, s280-281 .
(6) Hnbkh, 'ebd alrhmn, ktab alblaghh al'erbyh, dar alqlm, dmshq, t1, 1416h, 1/478- 479 .
(7) Edrys, mhmd abkr, alezhar fy mqam aledmar fy tfsyr althryr waltnwyr lltahr bn 'eashwr mn awl swrh alfathh ela nhayh swrh al 'emran, rsalh majstyr, qsm altfsyr w'elwm alqran, bjam'eh almdynh al'ealmyh bmalyzya, 2011m, s90-91.
(8) Alrazy, ahmd bn fars, m'ejm mqayys allughh, thqyq: 'ebd alslam harwn, dar alfkr, dmshq, 1399h, madh (z h r), 3/471 .
(9) Alshryf aljrjany, 'ely bn mhmd bn 'ely alzyn, ktab alt'eryfat, thqyq: jma'eh mn al'elma' beshraf alnashr, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1403h, s143.
(10) Abn mnzwr, mhmd bn mkrm, lsan al'erb, dar alsadr, byrwt, t3, 1414h, ktab alra' fsl aldad alm'ejmh, 3/491-492 .
(11) Alfywmy, ahmd bn mhmd, almsbah almnyr fy ghryb alshrh alkbyr, almktbh al'elmyh, byrwt, t: t/d, 2/364.
(12) Alestrabady, alrdy mhmd, shrh alrdy 'ela alkafyh, thqyq: emyl bdy'e, dar alktb al'erbyh, byrwt, 1998h, 3/6.
(13) Alzjaj, ebrahym bn alsry, m'eany alqran we'erabh, thqyq: 'ebd aljlyl shlby, 'ealm alktb, byrwt, t1, 1408h, 1/455-456.
(14) Abw mwsa, mhmd mhmd, khsa'es altrakyb drash thlylyh lmsa'el 'elm alm'eany, mktbh whbh, alqahrh, t7, s241.
(15) Alqzwyny, mhmd 'ebd alrhmn, aleydah fy 'elwm alqran, (mrj'e sabq), 2/82-84.
(16) Alzrkshy, bdr aldyn mhmd, albrhan fy 'elwm alqran, thqyq: mhmd abw alfdl, dar ehya' alktb al'erbyh, alqahrh, t1, 1376h, 2/384.
(17) Alsywty, jlal aldyn 'ebd alrhmn, aletqan fy 'elwm alqran, thqyq: mhmd abw alfdl, alhy'eh almsryh al'eamh llktab, alqahrh, 1439h, 3/216- 218.
(18) Alsmyn alhlby, shhab aldyn ahmd, alduru almswn fy 'elwm alktab almknwn, thqyq: ahmd mhmd alkhrat, dar alqlm, dmshq, t: t/d, 1/381.
(19) Alk'eby, rashd, blaghh aletnab fy swr almfsl, rsalh majstyr, jam'eh alemam mhmd bn s'ewd aleslamyh, klyh allughh al'erbyh, s195-196.
(20) Alazhry, mhmd bn ahmd, thdyb allghh, thqyq: mhmd 'ewd, dar ehya' altrath al'erby, byrwt, t1, 2001m, (bab alqaf walsyn), 9/185.
(21) Abn tymyh, tqy aldyn abw 'ebas ahmd bn 'ebd alhlym, alftawa alkbra, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1408h, 6/475.
(22) Abn mnzwr, mhmd bn mkrm, lsan al'erb, (mrj'e sabq), (ktab allam fsl alfa'), 11/522 .
(23) Alzrkshy, bdr aldyn mhmd, albrhan fy 'elwm alqran, (mrj'e sabq), 1/245 .
(24) Alsywty, jlal aldyn 'ebd alrhmn, aletqan fy 'elwm alqran (mrj'e sabq), 1/221.
(25) Aljrjany, 'ebd alqahr bn 'ebd alrhmn, dla'el ale'ejaz fy 'elm alm'eany, thqyq: mhmwd mhmd shakr, mtb'eh almdny, alqahrh, t3, 1413h, s81.
(26) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr = thryr alm'ena alsdyd wtnwyr al'eql aljdyd mn tfsyr alktab almjyd, aldar altwnsyh, twns, 1984h, 27/348.
(27) Alzmkhshry, abw alqasm mhmwd bn 'emrw, alkshaf, (mrj'e sabq), 4/470.
(28) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 27/348.
(29) Abn kthyr, esma'eyl bn 'emr, tfsyr alqran al'ezym, thqyq: mhmd shms aldyn, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1419h, 7/550.
(30) Albqa'ey, ebrahym bn 'emr, nzm aldurr fy tnasb alayat walsuwr, dar alktab aleslamy, alqahrh, t: t/ d, 19/246.

(31) Alfra', yhya yn zyad, m'eany alqran, thqyq: ahmd alnjaty, wmhmd alnjar, w'ebd alftah alshlby, dar almsryh, msr, t1, 3/131.
(32) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 27/349.
(33) Abw als'ewd, mhmd bn mhmd, ershad al'eql alslym ela mzaya alktab alkrym = tfsyr abw als'ewd, dar ehya' altrath al'erby, byrwt, t: t/ d), 8/202.
(34) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/57- 61.
(35) Abw als'ewd, mhmd bn mhmd, ershad al'eql alslym ela mzaya alktab alkrym, (mrj'e sabq), 8/224.
(36) Alzrkshy, bdr aldyn mhmd, albrhan fy 'elwm alqran, (mrj'e sabq), 2/485.
(37) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/55.
(38) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/110-111.
(39) Alzmkhshry, abw alqasm mhmwd bn 'emrw, alkshaf, (mrj'e sabq), 4/508.
(40) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/111- 112.
(41) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/174- 176.
(42) Alrhyly, whbh, altfsyr almysr, dar alfkr, dmshq, t1, 1411h, 28/160.
(43) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/176.
(44) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/226-227 .
(45) Albqa'ey, ebrahym bn 'emr, nzm aldurr fy tnasb alayat walsuwr, (mrj'e sabq), 20/67- 68 .
(46) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/268 - 270.
(47) Abw als'ewd, mhmd bn mhmd, ershad al'eql alslym ela mzaya alktab alkrym, (mrj'e sabq), 8/256.
(48) Alzmkhshry, abw alqasm mhmwd bn 'emrw, alkshaf, (mrj'e sabq), 4/547.
(49) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 29/42-43.
(50) Alhrby, hsyn 'ely, qwa'ed altrjyh 'end almfsryn, drash nzryh, almmlkh al'erbyh alsu'ewdyh, dar alqasm, t2, 1429h , 1/109 .
(51) Alk'eby, rashd, blaghh aletnab fy swr almfsl, (mrj'e sabq), s228-229.
(52) Abw als'ewd, mhmd bn mhmd, ershad al'eql alslym ela mzaya alktab alkrym, (mrj'e sabq), 9/8 .
(53) Alalwsy, shhab aldyn mhmwd, tfsyr alalwsy = rwh alm'eany fy tfsyr alqran al'ezym walsb'e almthany, thqyq = 'elyun 'ebd albary 'etyh, dar alktb al'erbyh, byrwt, t1, 1415h, 20/405.
(54) Albqa'ey, ebrahym bn 'emr, nzm aldurr fy tnasb alayat walsuwr, (mrj'e sabq), 20/405.
(55) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 19/172, 173 .
albqa'ey, ebrahym bn 'emr, nzm aldurr fy tnasb alayat walsuwr, (mrj'e sabq), 20/405 .
(56) Albqa'ey, ebrahym bn 'emr, nzm aldurr fy tnasb alayat walsuwr, (mrj'e sabq), 20/406 .
(57) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 27/286.
(58) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 27/286 .
(59) Abw als'ewd, mhmd bn mhmd, ershad al'eql alslym ela mzaya alktab alkrym, (mrj'e sabq), 8/189 .
(60) 'Ebd alhmyd, ahmd mkhtar, m'ejm allghh al'erbyh alm'easrh, 'ealm alktb, alqahrh, t1, 1429h, 3(f.4730.f r 'e).
(61) Abn mnzwr, mhmd bn mkrm, lsan al'erb, (mrj'e sabq), (b fsl alsyn almhmlh), 1/458 .
(62) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/55.

(74) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 29/339, 343.
(75) Albqa'ey, ebrahym bn 'emr, nzm aldurr fy tnasb alayat walsuwr, (mrj'e sabq), 21/90.
(76) Atfysh, mhmd bn ywsf, tysyr altfsyr llqran alkrym, wzarh alturath walthqafh, 'eman, 1418h, 14/301 .
(77) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 29/341- 243.
(78) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 30/55-57.
(79) Fkhr aldyn alrazy, mhmd bn 'emr, mfatyh alghyb = altfsyr alkbyr = tfsyr alrazy, dar ehya' alturath al'erby, byrwt, t3, 1420h, 31/26.
(80) Alzmkhshry, abw alqasm mhmwd bn 'emrw, alkshaf, (mrj'e sabq), 4/691 .
abw als'ewd, mhmd bn mhmd, ershad al'eql alslym ela mzaya alktab alkrym, (mrj'e sabq), 9/95.
(81) Alsywty, jlal aldyn 'ebd alrhmn bn aby bkr, aldur almnthwr fy altfsyr balmathwr, dar alfkr, byrwt, t: t/d), 8/401.
(82) Alzmkhshry, abw alqasm mhmwd bn 'emrw, alkshaf, (mrj'e sabq), 4/691.
(83) Alzmkhshry, abw alqasm mhmwd bn 'emrw, alkshaf, (mrj'e sabq), 4/691.
(84) Alqwnwy, 'esam, hashyh alqwnwy،'ela tfsyr albydawy، wm'eh hashyh abn altmjyd, (mrj'e sabq), 20/44, 45.
(85) Fkhr aldyn alrazy, mhmd bn 'emr, mfatyh alghyb, (mrj'e sabq), 31/26.
(86) Alzrkshy, bdr aldyn mhmd, albrhan fy 'elwm alqran, (mrj'e sabq), 2/165.
(63) Abw als'ewd, mhmd bn mhmd, ershad al'eql alslym ela mzaya alktab alkrym, (mrj'e sabq), 8/223.
(64) Albqa'ey, ebrahym bn 'emr, nzm aldurr fy tnasb alayat walsuwr, (mrj'e sabq), 19/394.
(65) Alqwnwy, 'esam, hashyh alqwnwy،'ela tfsyr albydawy, wm'eh hashyh abn altmjyd, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1422h, 18/518.
(66) Alzrkshy, bdr aldyn mhmd, albrhan fy 'elwm alqran, (mrj'e sabq), 2/486.
(67) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/177- 179.
(68) Abw als'ewd, mhmd bn mhmd, ershad al'eql alslym ela mzaya alktab alkrym, (mrj'e sabq), 8/243.
(69) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/217, 218.
(70) Alqnwjy, mhmd sdyq khan, fth albyan fy mqasd alqran, 'euny btb'eh wtqdymh wmraj'eth: 'ebd allh bn ebrahym alansary, almktbh al'esryh, byrwt, 1412h, 14/135.
(71) Abw als'ewd, mhmd bn mhmd, ershad al'eql alslym ela mzaya alktab alkrym, (mrj'e sabq), 8/249 .
alalwsy, shhab aldyn mhmwd, tfsyr alalwsy, (mrj'e sabq), 14/291.
(72) Alnysabwry, mslm alhjaj bn mslm, alktab aljam'e = shyh mslm, thqyq: ahmd bn rf'et, wmhmd 'ezt, wmhmd shkry, dar altba'eh al'eamrh, trkya, 1334h), ktab aljm'eh, r: 863.
(73) Abn 'eashwr, mhmd altahr, althryr waltnwyr, (mrj'e sabq), 28/227- 230.